أسباب الوقوع في المعاصي

عثمان خليفة صديق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمـــــده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليـــه ونعوذ بالله من شرور أنفسنـــــــا ومن سيئات أعمالنـــــا مـــن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله إلي كافة الناس بشيراً ونذيرا وداعي إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً فشرح به الصدور وأنار به العقول وفتح به أعين عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا اللهم صلي عليه وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد .

فإننا في هذه الحياة الدنيا قد خلقنا لغاية عظيمة من أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب ومن اجلها خلق الله السموات والأرض وقامت الجنة والنار ألا وهي عبادة الله عز وجل قال الله تعالى:(**وَمَا خلقت الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**)[الذاريات:**٥٨**] لذلك على كل مسلم أن يجعل هذا الهدف نصب عينيه فلا ينشغل عنه بمال أو ولد أو منصب أو غير ذلك.

وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا الطريق الموصلة إليه قال تعالى { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام (١٥٣)** فالله سبحانه وتعالى قد وضح لنا الطرق المؤدية إلى مرضاته وحذرنا من الطرق التي تؤدي إلى سخطه وعقابه، وفي هذا العصر الذي كثرت فيه الملهيات والمغريات قل من ينتبه إلى هذا الطريق فلذلك وقع كثير من الناس في هذه الطُرق المُهلكة وذلك بسبب جهلهم بسبل النجاة التي تُوصل إلي رِضوانه وسُبل الغواية التي تُوصل إلي غضبه وعذابه .

أسباب البحث:

فلذلك رأيت أن أكتب هذا البحث الذي يوضح الطرق التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي والذنوب حتى يبتعد عنها المسلم والسبل التي تعين على الوقاية من المعاصي حتى يمتثلها المسلم .

والذي دفعني إلى هذا البحث هو تحذير المسلمين من طرق الشر لأن الذي يعرف الشر فإنه سيحذره لخوفه من الوقوع فيه كما جاء[1] عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني)

ومن باب قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه فمن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

منهج البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى فصلين :

الفصل الأول : أسباب الوقوع في المعاصي .

الفصل الثاني : سبل الوقاية من المعاصي .

وقد أكثرت من النقل عن المتقدمين لغزارة علمهم وحسن استنباطهم وأكثرت من النقل عن الإمامين ابن القيم وابن الجوزي لإنهما فارسا هذا الميدان وهما من أكثر الناس دراية في هذا الباب .

والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب:

عثمان خليفة صديق

المدينة المنورة

[1] صحيح البخاري برقم (٣٣٣٨) ومسلم برقم (٣٤٣٤) وغيره

الفصل الأول :

أسباب الوقوع في المعاصي :-

١- إتباع الهوى:

من أعظم ما يوقع العبد في المعاصي والآثام إتباع الهوى ،وقد عرفه الراغب بقوله : هو ميل النفس إلى الشهوة [١]

وقد وردت آيات كثيرة في التحذير من إتباع الهوى منها: قول الله تعالى : { **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف (٢٨)** .

وقال تعالى : { **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } الفرقان (٤٣)** .

ويقول سبحانه وتعالى : { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} القصص (٥٠) ويقول سبحانه وتعالى { **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} سورة ص (٢٦)** والآيات في هذا الباب كثيرة جداً فعلى المرء أن يقف عندها ويتدبرها حتى يعلم خطورة إتباع الهوى وما يؤدي إليه من الهلاك والزيغ والضلال .

يقول ابن الجوزي رحمه الله :-

(اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبه ، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً ، وإن كان سبباً للألم والأذى في العاجل ومنع لذاتٍ في الأجل . فأما العاقل فإنه ينهي نفسه عن لذة تعقب ألما ، وشهوة تورث ندماً ن وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوى).

وإليك أخي بعض الآثار التي ذكرها ابن الجوزي بسنده في ذم الهوى:

١- قال معاوية رضي الله عنه (المروءة ترك اللذة وعصيان الهوي)

٢- قال أبو الدرداء رضي الله عنه (إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح) .

---

[١] المفردات للراغب ٥٤٨

٣- عن الأصمعي قال: (سمعت أعرابياً يقول إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى) .

٤- قال رجل للحسن يا أبا سعد أي الجهاد أفضل ؟ قال جهادك هواك .

قال أبو علي الثقفي (من غلبه هواه توارى عنه عقله ، وقال: ليس شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ، ولا شيء أولى بأن تغلبه من هواك) . قال بشر الحافي لحسن الفلاس : من جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فَرِق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الصابر الغالب ، واعلم أن البلاء كله في هواك والشفاء كله في مخالفتك إياه .

- قال هشام بن عبد الملك :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال .

وقال آخر :

وكل امرئ يدري مواقع رشده ولكنه أعمى أسير هواه

يُشيرُ عليه الناصحون بجهدهم فيأبى قبول النصح وهو يراه

هوى نفسه يعميه عن قصده رشده ويبصر عن فهم عيوب سواه [١]

يقول الماوردي رحمه الله :(فالهوي عن الخير صادٌ ، وللعقل مضاد ، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ، ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل سِتر المروءة مهتوكاً ، ومدخل الشر مسلوكاً .

ولما كان الهوى غالباً ، وإلى سبيل المهالك موديا ، جُعل العقل عليه رقيباً مجاهدا، يلاحظ عثرة غفلته ، ويدفع بادرة سطوته ، ويوضح خداع حيلته ، لأن لسلطان الهوى قويٌ ، ومدخل مكره خفي ، ومن هذين الوجهين يُؤتى العاقل ، حتى تنفذ أحكام الهوى عليه أعني بأحد الوجهين : قوة سلطانه ، وبالآخر : خفاء مكره) [٢] .

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عن ذاك ثواكله

وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه وقد وَجَدَت فيه مقالاً عواذله

ما يردع النفس اللجوج عن الهوى مِن الناس إلا حازم الرأي كامِله

قيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته ؟ قال : من جاهد الهوى طاعة لربه ، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه .

فعلي الإنسان أن يحذر أشد الحذر من إتباع الهوي وإيثار الشهوات العاجلة التي تؤدي إلي النار والعياذ بالله.

تفني اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقي الإثم والعار

تبقي عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

---

[١] ذم الهوي٣٥

[٢] ا دب الدنيا والدين٣٣ -٣٦

(ومن أطاع أحدٌ هواه قط إلا وجد في نفسه ذلاً ، ولا يغتر أحد بصولة أهل الهوى وكبرهم ، فهم أذل الناس بواطن ، وقد جمعوا بين رذيلتي الكبر والذل ، والهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده ، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة ، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء . وإن وقع الهوى في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ، ومخالفة السُنة ، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم ، وصده عن الحق وإن وقع في القسمة خرج عن قسمة العدل إلى الجور ، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يولي بهواه ، ويعزل بهواه .

فما قارن الهوي شيئاً إلا أفسده ، وهو يسري في القلب سريان السم في القلب والأعضاء. [1]

وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ، والهوى شر داء خالط القلوب وشرُ إله عُبد في الأرض وخير الناس من أخرج الشهوات من قلبه ، وعصى هواه في طاعة ربه ، ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه .

والإنسان إذ كان كلما هوى شيئاً رَكِبه ،وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى فقد اتخذ إله هواه نسأل الله العافية والسلامة .

ثانياً: الجهل :

وهو كما قال ابن منظور : نقض العلم ، والجهل : ضد الخِبره ، يقال : هو يجهل ذلك أي لا يعرفه[1].

فالجهل من الصفات الذميمة ، ومن أعظم ما يوقع العبد في ارتكاب المعاصي هو الجهل بالله وما يجب له من الطاعة ، فالذي يعصي الله تعالى فهو جاهل كما قال الله تعالى {**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**} النساء (٥٧) أقوال بعض المفسرين في هذه الآية .

قال الزجاج : يعني قوله (بجهالة) (اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية)[2] .

وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد قال : كل من عصى ربه فهو جاهل حتى يترع عن معصيته [3] .

قال ابن جزي :(وبجهالة ؛ بسفاهة وقلة تحصيل العلم أداه إلى المعصية . يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : بجهالة: أي جهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه ، لنظر الله ومراقبته ، وجهل منه بما تئول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه) [4]

فالجهل يوقع صاحبه في كثير من المصائب الدينية والدنيوية يقول ابن حزم رحمه الله (لو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويغبط نظراءه من الجهال لكان سبباً إلى وجوب الفرار عنه ، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة ؟! [5] (وقال رحمه الله في موضع آخر بعد أن تحدث عن بعض منافع العلم قال (فعلى هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل قضية وللجهل حصة في كل رذيلة) [6] .

---

[1] لسان العرب (٧/٣/٢، ٧١٤)
[2] معاني القرآن ٢٩/٢
[3] تفسير ابن جرير الطبري ٢٠٨/٦
[4] تيسير الكريم الرحمن ٠٣٩/٢
[5] الأخلاق والسير(٨٧)
[6] المصدر السابق (٩٣)

وقال بُزُرجمهر : (الجهل في القلب كالنَّزِّ في الأرض يفسد ماحوله) [٧]

وقال احدهم:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل النشور نشور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور [٨]

قال ابن القيم (وقوع الذنب من العبد محفوف بجهلين : جهل بحقيقة الأسباب الصارفة عنه ، وجهل بحقيقة المفسدة المرتبة عليه ، وبهذا فسر قوله تعالى { **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } النساء آية ١٧** فينبغي الحذر من الجهل وما يؤدى إليه من الوقوع في المهالك .

ثالثاً : الشيطان :

لا يخفى على كل مسلم خطورة الشيطان وحرصه الشديد على إغواء بني آدم . منذ أن أُمر بالسجود لأبينا آدم عليه السلام ، فانبجس الحقد والكبر من أغوار نفسه واعترض على أمر ربه{ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}الأعراف(١٢)**

فاستحق الطرد واللعنة كما قال تعالى { **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ } سورة الحجر(١٨)** . وازداد عدو الله حقداً وعتواً وأعلن عن خطته في إضلال بني آدم وإفسادهم { **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} الحجر (٤٠)** [١] ومنذ ذلك الوقت والشيطان عليه لعنة الله لا يجد فرصة ووسيلة وحيلة لإضلال الناس إلا فعلها .

ولذلك المولي سبحانه وتعالى حذرنا منه ومن كيده ومن إتباعه قال تعالى { **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأعراف (٢٧)** ويقول سبحانه وتعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}** النور (٢١) ويقول الله عز وجل { **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }فاطر(٦)** وللشيطان مداخل يدخل بها إلى القلب ليوسوس له ويضله .

قال الغزالي رحمه الله (واعلم أن القلب مثل حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيسلكه ويستولى عليه ولا يُقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها فحماية

---

[٧] أدب الدنيا والدين للما وردي .٦٣

[٨] الفوائد لابن القيم ١٧١

[١] منهج الإسلام في تزكية النفوس ٦٥٨/٢ بتصرف

القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل إلي الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت واجبه ، ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة منها :

١-الغضب والشهوة : فإذا غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكره .

٢-الحرص : مهما كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيُحَسِّن عند الحريص كل ما يوصل إلى شهوته وإن كان منكراً وفاحشاً .

٣-الشبع من الطعام :وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان .

٤-العجلة وترك التثبت في الأمور :فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري

٥-البخل وخوف الفقر : فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكتر .

٦-التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العُباد والفُساق جميعاً .

٧-سوء الظن بالمسلمين : فيجب الاحتراز عنه فيجب على الإنسان قطع هذه الأبواب من القلب ويعينه عليها ذكر الله [٢]

-وقد بين ابن القيم رحمه الله طرق الشيطان في إيقاع الجوارح في المعاصي ممثلاً ذلك بمثال يوضح كيفية استيلاء الشيطان وجنوده على القلب . فقال رحمه الله :(أقبل ملك الكفر بجنوده وعساكره ، فوجد القلب في حصنه جالساً على كرسي مملكته ، أمره نافذ في أعوانه ، وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ، ويدافعون عن حوزته ، فلم يمكنه الهجوم عليه إلا بمخامرة بعض أمرائه وجنده عليه ، فسأل عن أخص الجند به وأقربهم منه منزلة فقيل له : هي النفس ، فقال لأعوانه : ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها وما هو محبوبها . فَعِدُها به ، ومنوها إياه ، وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها ، فإذا اطمأنت إليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ، ثم جُرُّوها بها إليكم فإذا خامرت على القلب ، وصارت معكم عليه ، ملكتم ثغر العين والأذن واللسان والفم واليد والرجل ، فرابطوا على هذه الثغور كل الرابطة ، فمتى دخلتم منها إلى القلب فهو فتيل أو أسير أو جريح مثخن بالجراحات) [١] .

والشيطان يتدرج بالإنسان لإضلاله وغوايته ، فيدعوا إلى المعصية ويزينها في نفسه ثم يحبب له النظر إليها فتَحسُن في عينيه،ثم يدعوه إلى الاقتراب منها وتحسسها وكيفية ارتكابها ، وهو في ذلك يوسوس له بأن هذه المعصية من السهل اقترافها ، وليس هناك ما يدعو إلى التردد حتى يزيل هيبة المعصية في قلبه ، ثم يؤمنه من عاقبة فعلها ، بأنه لن ينكشف أمره ، ولن يطلع أحد على جريمته ، وأنه فِعلٌ ينتهي في وقته أو ليس له مطالب ، ولا جريرة ويوحي إليه بأنها فرصة نادرة فعليه اغتنامها والتلذذ بها ، فربما لا تسنح مثل هذه اللذة الحاصلة والفرصة النادرة . وهكذا يقود الإنسان إلى تلك المعصية عن طريق الخطوات الشيطانية المتتابعة ، حيث يملأ فكره وقلبه ومشاعره بالرغبة في ارتكابها ، ويتخذ عزمه وهمه على فعلها ،ولا يدعه حتى يراه متلبساً بفعلها ، وغارقاً في رذائلها فيُسرَّ عدو الله الشيطان غاية السرور وهو يراه مواقعاً لتلك المعصية ، فيبتهج بتطبيق خطته ونجاح مهمته).[٢]

---

[٢] مكاشفة القلوب (٧٦-٧٩ مختصراً)

[١] الجواب الكافي (الداء والدواء) ص٢٢٩-٢٣٠

[٢] عداوة الشيطان للإنسان ص٣١٩ وقد ذكر فيه مؤلفه هذا العداوة ونشأتها وكيفية إغواء الشيطان للناس فراجعه إن شئت .

رابعاً : أصدقاء السوء :

من أعظم ما يُوقع العبد في المعاصي هو مصاحبة الأشرار لأنهم يزينون لصاحبهم ويجعلونه يكون مثلهم في الفسق والفجور ، والإنسان يتأثر بمن يصاحب يقول عليه الصلاة والسلام : كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة).[٣]

(فمجالسة أهل الشر كمجالسة الحداد الذي ينفخ في الكير ليصنع الحديد فيتطاير منه الشرر فيحرق ثيابك ، أو يصيبك دخانه وريحه الخبيثة ، ومجالسة أهل الشر والفساد ، إما أن يعديك شرهم ، فيسحبك إلى الفساد في الأرض ، وإما أن تسمع منه ما يضر ولا ينفع ، فتحيط بك الشياطين ،كما تحيط بهم ، وإما – على الأقل – أن يضعك الناس في حزبهم وسمعتهم ، وإن لم تكن منهم ، ولا على طريقتهم ومنوالهم ، ورحم الله إمراً أحب الصالحين ، وأهل الخير وجالسهم وكره الفاسدين وأهل الشر فجانبهم). [٤]

لذلك فإن كل صداقة لغير الله تعالى تنقلب عداوة كما قال تعالى { **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} الزخرف (٦٧)** .

(يقول ابن كثير رحمه الله :(إن كل صداقة وصحابه لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه .

وقال الشوكاني رحمه الله : (الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة بعضهم لبعضهم عدو أي يعادى بعضهم بعضاً – لأنها انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسباباً للعذاب فصاروا أعداء)[١] .

فعلى المسلم أن يبتعد عن مصاحبة الأشرار وأصحاب المعاصي حتى لا يتعلق بما تعلقوا به وحتى لا يصبح مثلهم يرتكب المعاصي ولا يبالي بها .

يقول الماوردي رحمه الله : (فإن مودَّة الشِّرِّير تُكسب الأعداء وتُفسِد الأخلاق ، ولا خير في مودة تجلب العداوة ، وتورث مذمة وملامة ، فإن المتبوع تابع صاحبه .

وقال عبد الله بن المعتز : إخوان الشر كشجر النارنج يحرق بعضه بعضاً .

وقال بعض الحكماء : مخالطة الأشرار خطر ، والصبر على صحبتهم كركوب البحر ، الذي من سلم منه ببدنه من التلف فيه ، لم يسلم بقلبه من الحذر منه . وقال بعض البلغاء : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار .

وقال بعضهم : من خير الاختيار صحبة الأشرار ، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار .

وقال بعض الشعراء :

---

[٣] رواه البخاري . باب المسك (رقم الحديث ٢٥٥٣٣) ومسلم في باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء برقم (٢٠٦٢٧)
[٤] فتح المنعم شرح صحيح مسلم ١٢٧/١٠
[١] تفسير ابن كثير ١٥٨/٤و١٢فتح القدير ٧٣٥/٤

مجالسة السفيه سفاه رأي ** ومن عقل مجلسة الحكيم

فإنك والقرين معاً سواء ** كما قُدَّ الأديم من الأديم [٢]

وإليك بعض الأخبار في التحذير من أصدقاء السوء وبيان عاقبتها :

هذه القصة تبين لنا حقيقة أصدقاء السوء وعظم جرمهم بمن يصحبهم ففي الصحيحين [٣] عن سعيد المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)فقال أبو جهل وعبد الله بن امية ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل : { **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}التوبة (١١٣)** .

فانظر كيف أن أصدقاء السوء – أبو جهل ،وابن أبي أمية – لم يتركا عم النبي صلى الله عليه وسلم حتى عند سكرة الموت فجعلا يذكرانه بملة الآباء والأجداد حتى مات على الشرك والعياذ بالله .

وجاء في سبب نزول قوله تعالى { **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}الفرقان (٢٩)** .

أن عقبة بن أبي معيط كان خليلاً لأميه بن خلف فأسلم عقبه ، فقال أميه : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً فكفر وارتد لرضا أمية فأنزل الله تعالى في هذه الآية .

– فهذه الأخبار تبين لنا خطورة أصدقاء السوء ، قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يُعِنه ، وإن نسي لم يُذَكِّره ، وإن غفل حرضه على ترك الذكر . ومن كان أصدقاءه أشراراً كان هو شرهم وكما أن الخَيِّر لا يحب إلا البَرَرة ، كذلك الرديء لا يصحب إلا الفجرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات .

– قال رحمه الله: (العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبه صاحب السُّوء قطعة من النار تعقب الضغائن لا يستقم ودُّه ولا يفي عهده).

قال أحدهم :

لا تصاحب أخا الجهل ** فإيَّاك وإيَّاه

فكم من جاهل أردى ** حليماً حين يغشاه

يقاس المرء بالمرء ** إذا هو ماشاه

---

[٢] أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٧١)

[٣] رواه البخاري برقم (١٣٦٠) ومسلم برقم (٢٤)

وللشيء على الشيء ** مقاييس وأشباه

وقال آخر :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ** ولا تصحب الأردي فتردى مع الردى

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ** فكل قرين بالمقارن يقتدي

وصية لعمر بن الخطاب رضي الله عه :-

عن عمر رضي الله عنه :(أنه قال لرجل وهو يعظه لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك ، واحذر صديقك الأمين إلا من يخشى الله ويطيعه،ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ،ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله)[1]

خامساً : الغفلة :

الغفلة عن الله والدار الآخرة توقع في الذنوب وتفسد القلوب ، وتجلب الوساوس والشرور وتُبعِد عن علام الغيوب .

فالقلب الغافل قلب معطل عن وظيفته ، معطل عن الالتقاط والتأثر والاستجابة تمر به دلائل الإيمان والهدى أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها .

والإنسان كلما غفل قلبه عن ذكر الله وجد الشيطان طريقه إليه ، فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء قال تعالى :{ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } الزخرف(٣٦)** .

والإنسان إنما يقع في المعاصي بسبب الغفلة عن الله ، والغفلة عن أوامر الله ، والغفلة عن عقوبة المعصية في الدنيا والآخرة – والذين غفلوا عن الله وعن لقائه ، ورضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة وغفلوا عن آيات الله الكونية وآياته القرآنية هؤلاء مأواهم جهنم لكفرهم وغفلتهم عن آيات ربهم كما قال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يونس (٨)** .

يقول ابن الجوزي (أعظم الأسباب) في توليد الغفلة أمران : أحدهما : امتلاء البطون – والآخر – معاشرة البطالين فعليك بالجوع والعزلة إن أردت العتق من الغفلة .

وقال رحمه الله (لا أضر على العبد من أمرين – غفلته عن ذكر الله ، ومخالفته لأمر الله) .

والغفلة تحرم الربح والمعصية توجب الخسران ، والغفلة تغلق أبواب الجنة والمعصية تفتح أبواب النار [1]

يقول ابن القيم رحمه الله:

---

[1] الآداب الشرعية لابن مفلح ٥٣٦/٣

[1] التذكرة في الوعظ (١٠٣/١٠٢)

(ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاءه بالذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا تُرك صدئ ، فإذا ذكر جلاه .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدأه بحسب غفلته ،وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ماهي عليه فيري الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ اظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه . فإذا تراكم عليه الصدأ واسوَدَّ وركبه ألران فسد تصوره وإدراكه فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً وهذا أعظم عقوبات القلب .

وأصل ذلك من الغفلة وإتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى (**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف(٢٨)** . فالغفلة عن الله تعالى وعن ذكره من أعظم الأسباب في قسوة القلب وبعده عن الله تعالى وعن التأثر بكلامه سبحانه وتعالى .

(يقول ابن القيم رحمه الله : القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار – فما أُذِيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

فالذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة وشفائها ودواؤها في ذكر الله تعالى ،

قال مكحول رحمه الله:ذكر الله تعالى شفاء وذكر الناس داء . ذكره البيهقي عن مكحول –مرفوعاً ومرسلاً– فإن ذكرته شفاها وعافاها ، فإذا غفلت عنه انتكست كما قيل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ** فنترك الذكر أحياناً فننتكس

قال رحمه الله : الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

قال الأوزاعي : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره . فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من ذكره فحينئذ يتخذه عدواً كما اتخذه الذاكر ولياً)[1] .

فينبغي الحذر من الغفلة وما تودي إليه من الوقوع في الشهوات المهلكة والعياذ بالله .

سادساً :طول الأمل :

أن مما يجعل المسلم يقع في المعاصي وينسى الحساب والجزاء المنتظر في يوم البعث ، هو طول الأمل ونسيان الموت وسكرته والقبر وضمته والصراط وظلمته يقول الله تعالى : { **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } الحديد(١٦)** .

قال السعدي رحمه الله : (ولا تكونوا كالذين أنزل عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب وانقياد التام ثم لم يدوموا عليه ، ولا ثبتوا بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة ، فاضمحل إيمانهم وزال إبقائهم .

---

[1] الوابل الصيب (ص٩٠)

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمنكبيَّ ، فقال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [٢] .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: هذا الحديث أصل في قِصر الأمل في الدنيا ، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ من الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر : يُهَيِّئ جهاره للرحيل [٣] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (أخاف عليكم اثنين : إتباع الهوى ، وطول الأمل ، فإن إتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة) .

قال الحسن البصري رحمه الله: (ما أطال عبد الأمل إلا نسى العمل) [٤]

وقال رجل لبعض الزهاد في البصرة : ألك حاجة ببغداد ؟ قال : ما أحب أن أبسط أملي إلى أن تذهب إلى بغداد وتجيء .

وقال بعض الحكماء : (الجاهل يعتمد على أمله ، والعاقل يعتمد على عمله .

وقال بعض البلغاء : (الأمل كالسراب ، غرَّ من رآه ، وعاب من رجاه) [٥]

قال الحسن : اجتمع ثلاثة من العلماء ، فقالوا لأحدهم ، ما أملك ، قال ما أتى عليّ شهر إلا ظننت أني سأموت فيه ، قال : فقال صاحباه إن هذا الأمل ، فقيل للثاني : فما أملك ؟ قال : ما أتت عليَّ جمعة إلا ظننت أني سأموت فيها ، قال: فقال صاحباه: إن هذا الأمل ، فقالا للآخر : فما أملك ؟ قال : ما أملٌ من نفسه في يد غيره ؟ .

وقال بعض السلف : ما نِمت نوماً قط فحدثت نفسي أني أستيقظ منه .

أقام معروف الكرخي الصلاة ، ثم قال لرجل : تقدم فصل بنا ، فقال الرجل : إني إن صليت بكم هذه الصلاة ، لم أصل بكم غيرها ، فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل ، فإنه يمنع خير العمل . [١]

رحم الله السلف ماذا لو سمعوا من يتحدث عن تأمين المستقبل وما نسمع به اليوم من العبارات التي تدل على طول الأمل وحب الدنيا .

قال أبو العتاهية :

ألا كل ما هو آت قريب وللأرض من كل حي نصيب
وللناس حب لطول ألبقا ء فيها وللموت فيها دبيب

وقال رحمه الله :

أراك لدنياك مستوطناً ** ألم تدر أنك فيها غريب
أغرك منها نهار يضيء ** وليل يحن وشمس تغيب
فلا تحسب الدار داراً الغرور ** فتصفوا لصاحبها أو تطيب

---

[٢] رواه البخاري برقم (٢١٣)
[٣] جامع العلوم والحكم (٧١٠)
[٤] أدب الدنيا والدين (٣٤)
[٥] المصدر السابق (١٥-١٦٦)
[١] جامع العلوم والحكم (٧١٧)

(و من أضرِ الأشياء على الإنسان طول لأمل ومعنى ذلك استبشار طول البقاء في الدنيا حتى يغلب على القلب فيأخذ في العمل بمقتضاه .

وينسى أنه مهدد بالموت في كل لحظه ولا بد من ذلك كل ما هو آت قريب ، فتأهب لساعة وداعك من الدنيا وخروجك منها

قال بعض السلف :من طال أمله ساء عمله وذلك أن طول الأمل يحمل الإنسان على الحرص على الدنيا والتشمير لها لعمارتها وطلبها حتى يقطع وقته ليله ونهاره في التفكير في جمعها وإصلاحها والسعي لها مرة بقلبه ومرة بالعمل فيصير قلبه وجسمه مستغرقين في طلبها . وحينئذ ينسى نفسه والسعي لها بما يعود على إصلاحها وكان ينبغي له المبادرة والاجتهاد والتشمير في طلبه الاخره التي هي دار الإقامة والبقاء وأما الدنيا فهي دار الزوال والانتقال وعن قريب يرتحل منها إلى الآخرة ويخلف الدنيا وراءه فهل من العقل أن يعتني الإنسان بالمنزل الذي سينتقل منه قريباً ويهمل المنزل الذي سيرتحل إليه قريباً ويمكث فيه طويلاً [٢] .

ورحم الله القائل : [٣]

لا يذهبن بك الأمل ** حتى تقصر في العمل

إني أرى لك أن تكو ** ن من الفناء على وجل

فقد استبان الحق ** واتضح السبيل لمن عقل

مالي أراك بغير نفس ** ك لا أبالك تشتغل

خذ للوفاة من الحياة ** لحظها ، قبل الأجل

واعلم بأن الموت ليـــــــ ** س بغافل عمن غفل

ويقول ابن القيم : إتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد ن فإن إتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً ، وطول الأمل ينسى الآخرة ويصد عن الاستعداد لها) نسأل العافية والسلامة .

سابعاً : إطلاق البصر:

كثير من المعاصي والتعلقات المحرمة تقع للإنسان بإطلاق نظره إلى ما لا يحل له من النساء والعورات لذلك أمر الله سبحانه وتعالى بغض البصر، قال تعالى **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} النور (٣٠)**

قال ابن كثير رحمه الله : (هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ، فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ، فإذا اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً . كما روي مسلم

---

[٢] موارد الظمآن(٣/١١٠-١١١)
[٣] ديوان أبي العتاهية (٣١١)

في صحيحه (ساق السند) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال (سألت النبي صلى الله عليه وسلم – عن نظر الفجأة ، فأمرني أن أصرف بصري) .

قال رحمه الله (ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سهام سم إلى القلب) لذلك أمر بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث على ذلك .[1] .

قال ابن القيم رحمه الله (والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ، فإن النظرة تولد خطرة ، ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع ، وفي هذا قيل : (الصبر علي غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده) .

قال الشاعر:

كل الحوادث مبدآها من النظر ** ومعظم النار من مستصغر الشررِ

كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ** مبلغ السهم بين القوس والوترِ

والعبد مادام ذا طرف يُقلِبَه ** في أَعيُنِ الغير موقوف على الخطرِ

يسر مقلتهُ ما ضر مُهجَته ** لا مرحباً بسرور عاد بالضررِ

ومن آفات النظر : أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ماليس قادراً عليه ولا صابراً عنه ، ولا عن بعضه ، ولا قدرة له عليه .

قال الشاعر :

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً **لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ** عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وكم ممن أرسل لحظاته فما أقلعت إلا وهو يتشحط بينهن قتيلاً ! كما قيل :

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته ** حتى تشحط بينهن قتيلاً

ومن العجب : أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه حتى يتبوأ مكاناً من قلب الناظر

ولي من قصيدة :

يا رامياً بسهام الحظ مجتهداً ** أنت القتيل بما ترمى فلا تُصبِ

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ** أحبس رسولك لا يأتيك بالعطب

وأعجب من ذلك : أن النظرة تجرح في القلب جرحاً ، فيتبعها جرحاً على جرح ، ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكراراها

ولي أيضا في هذا المعنى :

مازلت تتبع نظرة في نظرة ** في إثر كل مليحةٍ ومليحِ

وتظن ذاك دواء جرحك وهو في أل ** تحقيق تجريح على تجريحِ

---

[1] تفسير ابن كثير (٣/٣٥١/٣٥٢)

فذبحت طرفك باللَّحاظِ وبالبكا ** فالقلب منك ذبيح أي ذبيح [1]

والبصر نعمة عظيمة ولا تقدر بثمن فعلى المسلم أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة وأن يسخرها في طاعة الله عز وجل . فكم من الناس قد حرم هذه النعمة ويتمنى أن يبصر ولو مرة واحدة ، فعليك أخي المسلم أن تستشعر ما أنت فيه من النعم وتحمد الله عليها وخاصة نعمة البصر فلا تسخرها في ما يغضب الله تعالى من النظر إلى الأفلام والمسلسلات ومواقع الانترنت المدمرة وعليك أن تستشعر نظر الله إليك ومراقبته إياك .

ثامناً : الفراغ :

الفراغ نعمة عظيمة لمن يستفيد منه أما الذي يضعه في المحرمات فإنه يكون وبالاً عليه يوم القيامة . ولذلك هذا الفراغ كثير من الناس لا يُحِسنُ استغلاله فيما يعود عليه بالنفع كما قال صلى الله عليه وسلم (نِعْمتان مَغْبُون فيهما كثيٌر من الناس : الصِّحَةُ والفَراغ[1] .

قال ابن بطال : معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على ألا يغبن بأن يترك شكر الله على ما انعم به عليه ومن شُكرِه امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرط في ذلك فهو المغبون ، وأشار بقوله {**كَثِيرٌ مِنَ النَّاسْ**} إلى أن الذي يُوفَق في ذلك قليل ، وقال ابن الجوزي : قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو مغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون ؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم .

والوقت يمر مر السحاب وكما قيل الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك فعلى الإنسان أن يسعى إلى استغلاله أفضل استغلال يقول ابن القيم رحمه الله (فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ومادة معيشية الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر أسرع من مر السحاب ، فمن كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوباً في حياته ، وإن عاش فيه عاش عيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الغفلة والشهوة والأماني الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا خير له من حياته)

ووقت الفراغ إذا لم يستغله العبد فيما ينفعه فإنه يجلب له الأفكار و الخطرات والتعلقات المحرمة والأماني المدمرة . يقول ابن القيم رحمه الله (وأما الخطرات : فشأنها أصعب فإنها من الخير والشر ، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم ، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب ، ومن استهان بالخطرات قادته قهراً إلى

---

[1] الداء والدواء (٢٣٦/٢٣٤)

(١)رواه البخاري من حديث ابن عباس برقم (٦٤١٢)

المهلكات ، ولا تزال الخطرات ترد على القلب حتى تصير مُنى باطلة قال تعالى {**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**} **النور (٣٩)**.

يقول ابن قدامه رحمه الله: (فاغتنم رحمك الله – حياتك النفيسة واحتفظ بأوقاتك الغزيرة واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة ، فكل نفس ينقص به جزء منك ، والعمر كله قصير والباقي منه هو اليسير ، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خلف لها ، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم وإذا عادلتَ هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كُلَ نفس يعدل أكثر من ألف ألف ألف عام في نعيم لا خطر له أو خلاف ذلك . وما كان هكذا فلا قيمة له . فلا تُضَيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل ولا تُذهِبها بغير عوض ، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءَك ذهابُها فكيف تُفرط في ساعاتك وأوقاتك وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض)
ووقت الإنسان هو عمره الذي إذا ذهب منه شيء لن يعود إليه أبداً .

يقول الماوردي :(فينبغي ــ أحسن الله لك التوفيق – ألا تُضيعَ صحة جسمك ، وفراغ وقتك ، بالتقصير في طاعة ربك ، والثقةِ بسالف عملك ، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك والعمل فرصة فراغك ، فليس كل زمان مسعدك ، ولا فات مستدركاً

وللفراغ زيغٌ أو ندم ** وللخلوة ميل أو أسف

قال بزر جمهر :إن يكن الشغل مَجْهدة ، فالفراغ مَفْسدة .

قال بعض البلغاء : لا تمض يومك في غير منفعة . ولا تضع حالك في غير صنيعة ، فالعمر اقصر من أن ينفد في غير النافع ،والمال اقل من أن يُصرف في غير الصنائع ؛ والعاقل اجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعُه وخيره ، وينفق أمواله فيما يحصل له ثوابه ، وأجره .

يقول ابن الجوزي :(وأعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود ، فإن فهم من لم يعمل بمقتضى فهمه يعلم أن العمر قصير ، وهو يضعيه بالنوم والبطالة والحديث الفارغ وطلب اللذات ، وإنما أيامه أيام عمل لا زمان فراغه [١].

فالمقصود أن الفراغ إذا لم يسخره الإنسان فيما يعود عليه بالنفع فإنه يكون جالباً للأفكار والخواطر التي تدعو إلى الشهوات والمعاصي عافانا الله من ذلك .

ثامناً : إطلاق اللسان :

من أكثر ما يوقع الإنسان في المعاصي هو اللسان فهو سبب لكثير من المعاصي من الغيبة والنميمة والكذب والسخرية لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم . كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

: (من كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليقل خيراً أ وليصمت).[٢]

(١)صيد الخاطر(٣٥٠)
(٢)رواه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم(٤٧)

أي فليتكلم الكلام الذي فيه خير ومنفعة وإلا فليسكت . ويقول عليه الصلاة والسلام لمعاذ (ألا أخبر بملاك ذلك كله) قال : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه فقال : كف عليك هذا . فقلت : يا نبي الله . وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، أو على مناخرهم إلا حصاد ألسنتهم) .

قال ابن رجب رحمه الله : والمراد بحصا ئد الألسن : جزاء الكلام المحرم وعقوباته ، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة

واللسان وما يصدر منه من موبقات هي أكثر ما يدخل الناس النار كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(أكثر ما يدخل الناس النار : الأجوفان : الفم والفرج)رواه أحمد والترمذي.

وكلمة واحدة يمكن أن تودي الإنسان إلى النار والعياذ بالله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق) وفي رواية مسلم (إن العبد ليتكلم بالكلمة ، يتزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) .

فانظر أخي في الله كلمة واحدة تهوى بصاحبها أبعد مابين المشرق والمغرب ! فلذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم اشد الناس حرصاً على حفظ ألسنتهم

(كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه (والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان – وقال طاووس : لساني سبع إن أرسلته أكلني ،

وقال الحسن البصري رحمه الله :(ما عقل من لم يحفظ لسانه)

قال الأوزاعي رحمه الله:

(كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن من أكثرَ من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه)

وقال يونس بن عبد الله : ما من الناس يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله) [1]

فينبغي حفظ اللسان من الكلام الذي يجلب إليه الآثام والذنوب العظام .

(١) تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمي

الفصل الثاني :

سبل الوقاية من المعاصي

أولاً: مراقبة الله تعالى :

مما يعين على البعد من المعاصي : مراقبة الله تعالى وأن الله مطلع علينا وناظر إلينا وسامع لنا ورقيب لنا .

قال تعالى { **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** } البقرة (٢٣٥) . وقال سبحانه: {**وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا**} **الأحزاب (٥٢)** . ويقول جل وعلا {**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**} **غافر (١٩)** . والآيات في هذا الباب كثيرة تبين أهمية مراقبة الله تعالى في السر والعلن .

قال ذو النون : علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله ، وتعظيم ما عظم –الله ، وتصغير ما صغر الله .

وقال إبراهيم الخواص : المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل .

وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر ، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته [١].

فهذه الأقوال تبين لنا عظم شأن المراقبة وأنها سبب لمحبة الله تعالى والأُنسِ به والبعد عن كل مايسخطه .

يقول ابن القيم رحمه الله (إن السرور بالله وقربه ، وقرة العين به تبعث على الازدياد من طاعته ، وتحث على الجد في السير إليه ، والانتقال إلى مراقبة أخرى تحملك على الإعراض عن الاعتراض بصيانة الباطن والظاهر ، وصيانة الباطن : بحفظ الخواطر والإرادات والحركات الباطنة ، التي منها رفض معارضة أمره ، ومن كل إرادة تُعارِض إرادته ومن كل شبهة تعارض خبره ومن كل محبة تراحم محبته ،وهذه حقيقة القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله به [٢] .

فالذي يستشعر مراقبة الله له في كل وقت وحين فإن هذا يزجره من أن يبادر الله بالمعاصي والذنوب .

قال ابن رجب رحمه الله (من علم أن الله يراه حيث كان وأنه مطلع على باطنه وظاهره ، وسره وعلانيته ، واستحضر ذلك في خلواته أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر وإلى هذا المعنى الإشارة في القرآن يقول الله عز وجل {**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** } **النساء (١)**

---

[١] تهذيب مدارج السالكين (٤٩٦/١)
[٢] المصدر السابق (٤٩٩/٤٩٨)

كان بعض السلف يقول لأصحابه : زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة ، فعلم أن الله يراه ، فتركه من خشيته ، أو كما قال .

وقال الشافعي أعز الأشياء ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف .

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له : أما بعد ، أوصيك بتقوى الله الذي هو نَجيُك في سريرتك ، ورقيبك في علانيتك ، فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك و نهارك ، وخف الله بقدر قربه منك ،وقدرته عليك ، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطانه غيره ولا من ملكه إلي ملك غيره ، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك ، والسلام .

وقال أبو الجلد : أوصى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء : قل لقومك : ما بالكم تسترون الذنوب خلقي وتظهرونها لي ؛ وإن كنتم ترون أني لا أراكم ، فأنتم مشركون بي ، وإن كنتم ترون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم ؟

وكان وهيب بن الورد يقول : خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك ، وقال له رجل : عظني ، فقال: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك ، وكان بعض السلف يقول : أتراك ترحم من لم تقر عينه بمعصيتك حتى علم أن لا عين تراه غيرك .

(ودخل بعضهم غيضة ذات شجر ،فقال لو خلوت ها هنا بمعصية من كان يراني ، فسمع هاتفاً بصوت ملأ الغيضة

{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } الملك(١٤) .

راود بعضهم أعرابية وقال لها : ما يرانا إلا الكوكب ، قالت: فأين مكوكبها.

قال الحارث المحاسبي : المراقبة علم القلب بقُرب الرب .

كان الإمام أحمد –رحمه الله – ينشد :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقال ابن السماك :

يا مدمن الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا[1]

فعلى كل واحد منا أن يراقب الله في خلواته ولا يبارز الله بالقبيح والله مطلع علينا **{ألم يعلم بأن الله يرى } العلق (١٤)**

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ** والنفس داعية إلى العصيان

فاستحي من نظر الإله ** وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

فلا تنظر إلى صغر المعصية ولكن أنظر إلى عظمة من عصيت **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} آل عمران (٢٨)**

[1] جامع العلوم والحكم (٣٠١-٣٠٣).

٢-محاسبة النفس:

من الأمور المهمة التي تعين على ترك المعاصي والذنوب محاسبة النفس في كل وقت وحين . يقول الله تعالى **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } الحشر(١٨)** .

قال ابن كثير رحمه الله : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم .(تفسير ابن كثير ٤/٤٠٤)

ويقول ابن القيم رحمه الله : ومحاسبة النفس نوعان : نوع قبل العمل ونوع بعده . فأما النوع الأول : هو أن يقف عند أول همه وإرادته ، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه .

قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همة ، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر .

والنوع الثاني محاسبة النفس بعد العمل ثلاثة أنواع :

أحدهما : محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى ، فلم توفيها على الوجه الذي ينبغي وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور :وهي الإخلاص في العمل ، والنصيحة لله فيه ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهود مشهد الإحسان فيه ، وشهود منة الله عليه ، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله ، فيحاسب نفسه هل وفّى هذه ألمقامات حقها ؟ هل أتى بها في هذه الطاعة ؟

الثاني : أن يحاسب نفسه على أمر مباح ، أو معتاد . لم فعله ؟ وهل أراد الله والدار الآخرة فيكون رابحاً ، أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر بذلك الربح ويفوته الظفر به ؟

قال رحمه الله (وأضر ما عليه الإهمال ، وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها ، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك وهذه حال أهل الغرور : يغض عينيه عن العواقب ، ويُمَشي الحال ويتكل على العفو ، فيُهمل محاسبة نفسه ، والنظر في العاقبة ، فإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب ، وأنس بها وعسر عليه فطامها ، ولو حضر رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني رجل من قريش- ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله قال : كان توبة بن الصمة بالرقة ، وكان محاسباً لنفسه ، فحسب يوماً ، فإذا هو ابن ستين سنة ، فحسب أيامها : فإذا هي احد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم ، فصرخ ، وقال ، يا ويلتي ! ألقى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب ؟ كيف وفي كل يوم الآلف من الذنوب ؟ ثم خر مغشياً عليه ، فإذا هو ميت ، فسمعوا قائلاً يقول (بالله ركضة إلى الفردوس الاعلي)

وجماع ذلك أن يحاسب نفسه :

أولاً : على الفرائض ، فإن تذكر فيها نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح ثم يحاسب على المناهي : فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية . ثم يحاسب نفسه على الغفلة ، فإن كان غفل عما قد خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى . ثم يحاسبها ما تكلم به ، أو مشت إليه رجلاه ، أو بطشت يداه أو سمعت أذناه : ماذا أرادت بهذا !؟ ولمن فعلته؟ وعلي أي وجه فعلته ، ويعلم أنه لا بد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان ديوان لمن فعلته ؟ وكيف فعلته ؟ فالأول :سؤال عن الإخلاص والثاني سؤال عن المتابعة . قال تعالى {**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } **الحجر(٩٣)** .

من أقوال السلف في المحاسبة :

ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ، قال : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه) .

عن الحسن قال : (لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه : ما أردت تعملين ؟ ماذا أردت تأكلين ؟ وماذا أردت تشترين ، والفاجر يمض قدماً لا يحاسب نفسه)

قال ميمون بن مهران : لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه .

قال مالك بن دينار :(رحم الله عبداً قال لنفسه : ألست صاحبة كذا ؟ ألست صاحبة كذا ؟ ثم زمها ، ثم خصمها ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائد) .

وقال الحسن رحمه الله : (المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه ، فيقول : والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من صله إليك ، هيهات هيهات . حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ؟ مالي ولهذا ؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً ، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، وإن المؤمن أسير في الدنيا ، يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ؛ يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه ، مأخوذ عليه في ذلك كله [1] .

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم والآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في كل الأمور ، حتى ينجوا بإذن الله تعالى .

[1] إغاثة اللهفان (١٠١/١٠٠) بتصرف يسير

ثالثاً : ذكر الله تعالى :

من الأمور المهمة التي ينبغي العناية بها هو الإكثار من ذكر الله عز وجل الذي به حياة القلوب وسعادتها واطمئنانها . قال تعالى : **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} الرعد (٢٨)** . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟فقالوا :بلي يا رسول الله : قال ذكر الله .[٢]

فبعد كل هذه الفوائد للذكر يغفل عنه المسلم ! ففرق شاسع بين الذي يذكر الله والذي لا يذكره يقول عليه الصلاة والسلام: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[٣]

وفوائد الذكر كثيرة جداً ويهمنا هنا أن نقف على فائدتين :

الأولى : أن ذكر الله تعالى سبب لبعد الإنسان عن المعاصي والذنوب . فالذي يذكر الله تعالى ويأنس به ليس كالذي هو غافل عن الله تعالى ومتعلق بغيره من الشهوات والملهيات .

يقول ابن القيم رحمه الله : (إن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شفاء العبد في معاشه ومعاده فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى : { **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } الحشر (١٩)**

وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد ، كمن له مزرعة أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحة فإنه يفسد ولا بد هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليها بما يصلحها ، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان . وهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً [١]. فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك [٢] .

وبذكر الله تعالى ينشغل الإنسان عن كثير من المعاصي التي يمكن أن تقع بسبب اللسان من غيبة ونميمة وكذب وغيرها .

قال ابن القيم رحمه الله : إن الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك ، فإن اللسان لا يسكت ألبته : فإما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ،ولا بد من أحدهما فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك الباطل

---

[٢] سنن الترمذي (رقم ٣٣٧٧) سنن ابن ماجه (٣٧٩٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم : ٢٦٢٩)
[٣] صحيح البخاري (٦٤٠٧)
[١] يشير إلى قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف ٢٨
[٢] الوابل الصيب (٦١)

، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد ، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك أحد الخطتين ،وأنزلها في إحدى المترلتين .[٣]

الفائدة الثانية : أن ذكر الله تعالى يطرد الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويوقعه في المعاصي والذنوب . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة نذكر منها : (حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال – يعني إذا خرج من بيته ، بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان . فيقول شيطان آخر كيف لك برجل قد هدي ووقي [٤] . وقوله عليه الصلاة والسلام : (من قال في يوم مائة مره لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو كل شيء قدير كانت له حرزاً من الشيطان حتى يمسي) [٥]

فعلى المسلم أن يكثر من ذكر الله تعالى ولا ينشغل عنه بالملهيات قال الله تعالى { **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } الأعراف (٢٠٥)** .

رابعاً : إقامة الصلاة :

لا يخفى على أحد قدر الصلاة وعظم أمرها فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عماد الدين وتركها كفر وتضييعها خسران وندامة يوم القيامة . وفوائد الصلاة والمحافظة عليها أكثر من أن تحصى ويهمنا في هذا المقام أن نقف مع فائدة عظيمة من فوائد إقامة الصلاة وهي أنها تنهى عن ارتكاب المعاصي والفواحش قال الله تعالى { **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } العنكبوت (٤٥)** .قال ابن عباس رضي الله عنه :(في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله)[٦]

يقول السعدي رحمه الله : ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : أن العبد المقيم لها المتَمِم لأركانها وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فؤاده ويزاد إيمانه وتقوى رغبته في الخير وتقل رغبته في الشر ، فالبضرورة مداومتها ، والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر. [١]

لكن قد يسال سائل فيقول إننا نري من يصلي ولكنه يقع في الفواحش والمنكرات ؟ فكيف يجاب عن هذا السؤال ؟

يقول الشيخ الجزائري: قوله تعالي:(**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) تعليل الأمر بإقامة الصلاة .بما تُوجِده من إشراقات النفس والقلب والعقل حال تحول بين العبد وبين التلوث بقاذورات الفواحش ومفاسد المنكر وذلك يفيد إقامتها لا مجرد أدائها والإتيان بها .وإقامة الصلاة تتمثل في الإخلاص فيها لله تعالى أولا ، ثم بطهارة القلب من الالتفات إلى غير الرب تعالى أثناء أدائها ثانياً ، ثم بأدائها في أوقاتها المحددة لها في المساجد بيوت الله ، ومع جماعة المسلمين عباد الله وأوليائه ، ثم بمراعاة أركانها من قراءة الفاتحة والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه ، والسجود على الجبهة والأنف والطمأنينة فيه وآخر

---

[٣] المصدر السابق (١٠٢)
[٤] رواه أبو داود (٥٠٩٥) والترمذي (٣٤٧٣)
[٥] أخرجه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١)
[٦] تفسير الطبري (٤٠٨/١٨)
[١] تفسير الكريم الرحمن

أركانها هو الخشوع وهو السكون ولين القلب وذرف الدمع هذه هي الصلاة التي توجد طاقة النور التي تحول دون الأنغماس في الشهوات والذنوب وإتيان الفاحشة وارتكاب المنكر [٢]

فعلى كل مسلم أن يراجع نفسه إن كانت صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر فيحرص على الإتيان بها كاملة بأركانها وواجباتها وخشوعها وطمأنينتها حتى تكون زاجر له عن الوقوع في المعاصي والذنوب .

خامساً : الإخلاص لله تعالى :

عرف بعضهم الإخلاص بأنه :إفراد الحق لله سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محبة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

وقال بعضهم :الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين .

وصفات من أخلص لله كما قال ابن القيم : أعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله . فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده ، لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا ، ولا ابتغاه الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة ، والمنزلة في قلوبهم ، ولا هرباً من ذمهم . بل قد عَدُّوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكون لهم خيراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً [٣]

وللإخلاص فوائد عظيمة جداً نذكر منها :

أن الإخلاص من أشد الأبواب الموصدة أمام كيد الشيطان وشره والتي يعجز عدو الله عن اقتحامها في صراعه مع الإنسان ، وهو الصخرة الصلبة التي تتحطم عليها مكائد عدو الله وتنكسر عليها سهامه وهو أحد الأسلحة الربانية والعلاجات الوقائية للمسلم في حربه الشرسة مع عدوه الشيطان الرجيم وهذه الحقيقة الثابتة هي بإقرار عدو الله الشيطان واعترافه بها في قوله تعالى **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} الحجر (٤٠)** . فلا يملك الشيطان أن يزين لهم ؛ لأنه عنهم محصور ولأنهم منه في حمي ، ولأن مداخله إلى نفوسهم مغلقة وهم يعلقون أبصارهم وقلوبهم بالله . إن الشيطان لا يتلفق إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع .

فأما من يخلصون أنفسهم لله ، فالله لا يتركهم للضياع ورحمة الله أوسع بهم ، ويكفى فخراً وشرفاً أن الله نسبهم إلى نفسه .

ومن فوائد الإخلاص أنه يصرف السوء والفحشاء ويقضي على الشهوات والشبهات [٤]

قال الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام { **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف (٢٤)** . قرأ نافع ، وابن كثير ، وابن عمر ، وابن عامر (المخلِصين) بكسر اللام ، فنجي الله عبده ونبيه يوسف بإخلاصه وإحسانه ومراقبته لربه وكل الإغراءات من جانب امرأة العزيز لا يثبت أمامها إلا من ثبته الله أخلصه لنفسه بإخلاصه [٥]

---

[٢] أيسر التفاسير (١٣٩/١٣٨/٤)
[٣] مدارج السالكين (٧٢/١)
[٤] تعطير الأنفاس بحديث الإخلاص (١٣١)
[٥] المصدر السابق (١٢٠/١١٩)

فمن أراد العصمة من الشيطان ونزغاته ووساوسه فعليه بالإخلاص ، ومن أراد الحفظ من الوقوع في الشهوات المهلكة والفتن المضلة فعليه بالإخلاص وكما قال بعضهم : (يا نفس اخلصي كي تتخلصي)
فنسأله سبحانه أن يوفقنا للإخلاص في القول والعمل .

سادساً : وبضدها تتميز الأشياء:

وحتى لا يكثر الكلام فإن جميع الأسباب التي توقع في المعاصي فإن ضدها يعين على الوقاية من الذنوب .

فضد الجهل العلم النافع الذي به حياة القلوب وبه تُدفع الشبهات المضلة ويوصل صاحبه إلى مرضاة الله .

قال الشيخ السعدي في منظومته :

اعلم هديت أن أفضل المنن ** علم يزيل الشك عنك والدرن

ويكشف الحق لذي القلوب ** ويوصل العبد إلى المطلوب

فالعلم الذي كان طالبه مخلصاً لله في طلبه وعاملاً بما يعلمه فإنه يكون من الفائزين يوم القيامة .

وضد أتباع الهوى مخالفته لأن النفس تميل إلى الشهوات و المعاصي قال تعالى : { **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} يوسف (٥٣)** وكما قيل الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة فاترك الهوى تسلم وأعرض عن الدنيا تغنم ، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا يفتننك دنياك بحسن العواري ، فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتبه من المآثم .[1]

فمن أراد النجاة فعليه بمخالفة هواه قال تعالى { **أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} النازعات (٤١)** .

وضد إتباع أوامر الشيطان إتباع أوامر الرحمن قال تعالى : {**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)} يس (٦١)**

وضد مصاحبة الأشرار مصاحبة الأخيار الذين يذكرون صاحبهم إذا نسي وينصحونه إذا زل ويحببونه إلى الطاعات وينهونه عن المنكرات فصحبتهم فيها السلامة من الشرور ويستفيد المرء في مجالستهم خيراً كثيراً ويتعلم من أخلاقهم وسمتهم وكما قيل الصاحب ساحب :

أنت في الناس تقاس ** بمن اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلو ** وتنل ذكراً جميلاً

[1] أدب الدنيا والدين (٤١)

وضد الغفلة اليقظة والاستعداد للحساب بالأعمال الصالحة والمحاسبة الدائمة للنفس وعدم الغفلة التي تنسى العبد الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله تعالى .

وضد طول الأمل : قصر الأمل وذكر الموت وعدم الاغترار بالدنيا الفانية والانشغال بها عن الآخرة التي هي الباقية

قال تعالى : { **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) }الأعلى ١٧)**

قال أبو العتاهية :

ألا نحن في دار قليل بقائها ** سريع تداعيها وشيك فناؤها
تزود من الدنيا التُقى والنُهى ** تنكرت الدنيا وحان انقضائها
غدا تخرب الدنيا ، ويذهب أهلها ** جميعاً وتطوى أرضها وسماؤها
ترق من الدنيا إلى أي غاية ** سموت إليها فالمنايا ورائها
ومن كلفته النفس فوق كفافها ** فما ينقضي حتى الممات عناؤها [1]

وضد إطلاق البصر غضه عن المحرمات .

قال يحي الصَّرصري:

وغض عن المحارم طرفاً ** طموحاً تفتن الرجل اللبيبا

فخائنة العيون كأسد غاب ** إذا ما أهملت وثبت وثوباً

ومن يغضض فضول الطرف عنها ** يجد في قلبه روحاً وطيباً

وضد إطلاق اللسان حفظه وصونه عن أن يتكلم بالكلام القبيح وعليه أن يشغله بالذكر والتسبيح ، وإلا فالصمت أولى وكما قيل من صمت نجا .

قال رجل لسلمان أوصني : قال : لا تكلم، قال : ما يستطيع من عاش في الناس إلا أن يتكلم ، قال : فإن تكلمت ، فتكلم بحق أو اسكت .

وقال وهب بن منبه : أجمعت الحكماء على أن رأس الحكم الصمت .

وقال شميط بن عجلان : يا ابن آدم ، إنك ما سكت ، فأنت سالم فإن تكلمت فخذ حذرك إما لك أو عليك . [2]

وعلى كل مسلم أن يحفظ لسانه ولا يتكلم إلا فيما هو خير من تلاوة وذكر لله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغيرها من العبادات التي ترفع الدرجات وتوصل العبد إلى الجنات .

---

[1] ديوان أبو العتاهية (٢٢)
[2] جامع العلوم والحكم (٢٤٩)

الخاتمة:

هذه بعض ألأسباب التي تُوقع في المعاصي فينبغي علينا أن نحذرها ونبتعد عنها حتى نسلم من الوقوع فيها بإذن الله تعالي .

وذكرنا من أسباب الوقاية من المعاصي بعضاً منها وهي كثيرة حتى تكون خير معين لنا علي البعد من المعاصي التي هي سبب الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وختاماً فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان، واسأله سبحانه أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم	
٢- أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي	دار ابن كثير
٣- أسباب نزول القرآن للواحدي	دار الميمان
٤- الأخلاق والسير لابن حزم	دار ابن حزم
٥- التذكرة في الوعظ لابن الجوزي	دار المعرفة
٦- الداء والدواء لابن القيم	دار عالم الفوائد
٧- الآداب الشرعية لابن مفلح	الرسالة
٨- الفوائد لابن القيم	دار ابن خزيمة
٩- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم	دار ابن رجب
١٠- أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري	راسم للداعية
١١- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير	دار ابن كثير
١٢- تلبيس إبليس لابن الجوزي	دار الكتب العلمية
١٣- تعذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للعلامة محمد جمال الدين القاسمي	دار ابن القيم
١٤- تيسير الكريم المنان للعلامة عبدا لرحمن بن ناصر السعدي	مركز صالح بن صالح
١٥- جامع البيان عن تأويل القرآن /لابن جرير الطبري	دار هجر
١٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي	دار ابن الجوزي
١٧- حصول المأمول بترتيب طريق الوصول إلى علم المأمول للسعدي	دار ابن حزم
١٨- ديوان أبي العتاهية	دار الكتاب العربي
١٩- ذم الهوى لابن الجوزي	دار الكتب العلمية
٢٠- تعطير الأنفاس بحديث الإخلاص للسيد العفاني	دار النفائس
٢١- سنن الترمذي	مكتبة المعارف
٢٢- سنن ابن ماجه	مكتبة المعارف
٢٣- شرح منظومة الآداب لابن عبد القوي	دار ابن الجوزي
٢٤- صحيح البخاري	مكتبة ابن رشد
٢٥- صحيح مسلم	دار طيبة
٢٦- صيد الخاطر لابن الجوزي	دار المنارة جدة
٢٧- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني الحنبلي	دار الكتب العلمية
٢٨- فتح القدير للشوكاني	دار الوفاء

٢٩- فتح المنعم شرح صحيح المسلم موسى شاهين	دار الشروق
٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني	دار طيبة
٣١- عداوة الشيطان لإنسان وعلاجه د:عبدالمنعم الحواس	دار ابن الجوزي
٣٢- مدارج السالكين لابن القيم	دار إحياء التراث – ومؤسسة التاريخ العربي
٣٣- معالم التنزيل للبغوي	دار طيبة
٣٤- مفتاح دار السعادة لابن القيم	عصام بن السيد
٣٥- مكاشفة القلوب لابن حامد الغزالي	دار إحياء العلوم
٣٦- موارد الظمآن لدروس الزمان عبدالعزيز محمد السلمان	
٣٧- منهج الإسلام في تزكية النفوس د/ أنس كرزون	دار نور المكتبات
٣٨- موسعة فقه القلوب محمد بن إبراهيم التو يجري	

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحـــــــــــــــــــــة
مقدمة	١
الفصل الأول	
أسباب الوقوع في المعاصي	
١-إتباع الهوى	٣
٢-الجهل	٦
٣-الشيطان	٧
٤-أصدقاء السوء	٨
٥-الغفلة	١١
٦-طول الأمل	١٢
٧-إطلاق البصر	١٤
٨-الفراغ	١٥
٩-إطلاق اللسان	١٧
الفصل الثاني	
سبل الوقاية من المعاصي	
١-مراقبة الله تعالى	١٩
٢-محاسبة النفس	٢١
٣-ذكر الله	٢٣
٤-إقامة الصلاة	٢٤
٥-الإخلاص لله تعالى	٢٥
٦-وبضدها تتميز الأشياء	٢٦
٧-الخاتمة	٢٨
٨-قائمة المصادر والمراجع	٢٩
٩-الفهرس	٣١